الاساليب الثورية ، رجل الدولة مقابل النبي ، العقائدي مقابل العملي التجريبي ، الرؤيوي مقابل الواقعي — وكثيرا ما تشير الى تغييرات في ادراكه لموقع الخطر الثوري . ففي كتاباته الاولى ، على سبيل المثال ، كان بوجه الاجمال يربط « السلطة الثورية » بالدولتين الاشتراكيتين الرئيسيتين (الاتحاد السوفياتي والصين) ، ويعتبر الحركات الثورية مجرد امتدادات للدول الثورية .

وكونه حدد موقع السلطة الثورية على هذا النحو في الخمسينات ، دفع كاتب سيرة حياته الى الاستنتاج ان وحدها « الدول كانت كيانات حقيقية بالنسبة الى كيسنجر » وان « اهتمامه كان ينصب في الدرجة الاولى على الذين يمارسون السلطة الفعلية » . (ستيفن غروبارد ، **مستشهد** به ، ص ١) . لكن غروبارد يتجاهل ان كيسنجر يقول في كتاباته اللاحقة ان كلا من الاتحاد السوفياتي والصين هما الان نظامان مخططان من حيث ان كلاهما اكتسب مصلحة معينة في المحافظة على النظام ، وكلاهما عرضة للحوافز في هذا المجال ، وكلاهما يمكن الضغط عليه للحد من دعمه لحركات التحرير . كذلك ساعدت امثلة كوبا والفيتنام ولاوس في جعل واشنطن تتخلص من الاعتقاد بان الحركات الثورية هي مجرد ملحقات لموسكو وبيكين . ومن هنا فان الدكتور كيسنجر ، في اخر الصيغ التي وضعها للاستقطاب الجوهري في السياسة الدولية ، يعين التعبير عن الارادة الثورية ، اي الخطر الرئيسي على «الاستقرار» و « التوازن » الدوليين ، في حركات التحرير وبعض الحركات الراديكالية للعالم الثالث .

ويكتب الدكتور كيسنجر في اخر كتاب له : « ان اعظم مشكلات النظام الدولي المعاصر قد تكون ان اكثر المناقشات التي تؤلف عناوين الصحف اليوم هي السطح الخارجي للانقسامات الاساسية الموصوفة في هذه الدراسة . وليس الانقسام حول تنظيمات سياسية معينة — الا كأعراض — بل بين اسلوبي سياسة — ومنظورين فلسفيين » . وينتقل ليشرح ، وليقارن : « يمكن تحديد الاسلوبين بوصفهما الاقتراب السياسي المختلف عن الاقتراب الثوري من النظام، او ان شئنا تحويلهما الى مستوى الشخصيات ، بوصفهما الفرق بين رجل الدولة والنبي . فرجل الدولة يتلاعب بالواقع ... والتدرجية بالنسبة الى رجل الدولة هي جوهر الاستقرار... والنبي، في المقابل ، اقل اهتماما بالتلاعب مما هو بخلق الواقع . فما هو ممكن يهمه اقل مما هو حق ... واقترابه سرمدي وغير معتمد على الظروف ... كان الاسلوب النبوي في صعود خلال الجيشانات العظيمة للصراعات الدينية وفترة الثورة الفرنسية ، **وفي الثورات المعاصرة في الاجزاء الرئيسية من العالم** » . (وهنري كيسنجر ، السياسة الخارجية الاميركية . نيويورك ١٩٦٩ ، و. و. نورتسون ، ص ٢٧ — ٤٨ ، التشديد مضاف) .

ويتضح في الفقرات اللاحقة ان الدكتور كيسنجر ينظر الى « اعمق مشكلات النظام الدولي المعاصر» في اطار العالم الاول مقابل العالم الثالث . وسيجد قراء كيسنجر غير الغربيين تمييزه بين الغرب التجريبي العلمي والشرق ما قبل النيوتوني غنا بنوع خاص ، وآراؤه الشبينغلارية حول خطر العالم غير الغربي عنصرية تماما . لكن العامل المناسب هنا هو واقع ادراك كيسنجر، وليس سطحية تفكيره . وهنا بعض المقتطفات : « في ما يتعلق بالفرق في المنظور الفلسفي (بين السلطات العالمية « الشرعية » و « الثورية » فانه قد يعكس انحراف الخطين الفكريين الذين منذ عصر النهضة ميزا الغرب عن ذلك الجزء من العالم الذي يدعى متخلفا (مع احتلال روسيا مركزا متوسطا) . فالغرب ملتزم التزاما عميقا بالفكرة القائلة ان العالم الحقيقي هو خارجي بالنسبة الى المراقب ، وان المعرفة تتألف من تسجيل وتصنيف المعلومات — والافضل بمزيد من الدقة . اما الحضارات التي بقيت خارج التأثير المبكر للتفكير النيوتوني فقد احتفظت بالنظرة السابقة لنيوتون جوهريا والقائلة ان العالم الحقيقي هو داخلي بالنسبة الى المراقب بصورة تامة تقريبا . ومع ان هذا الموقف كان عائقا مديدة قرون — لانه منع انماء التكنولوجيا وسلع المستهلكين التي تمتع بها الغرب — فهو يعرض مرونة كبيرة في ما يتعلق بالجيشان الثوري المعاصر. انه يمكن المجتمعات التي لا تشاركنا اسلوبنا الحضاري من تغيير الواقع عن طريق التأثير في منظور المراقب — وهي عملية نحن الى حد كبير